واذ كان جلالة السلطان محمود قد اقام سنة ١٨٢٠ رئيساً للطوائف الكاثوليكية
مفروغاً منه بصفة ابيكوليس وقع تسلط على الكاثوليك ارتأى السيد مكسيموس
الذهاب الى دمشق لافتقاد رعيته فيها فاستحضر امراً من محمد علي باشا والي مصر (اذ
كان وقتئذٍ متسلطاً على سوريا) فورد اليه بصفة توصية به فحينئذٍ دخل
دمشق في ٥ نيسان سنة ١٨٣٤ يوم سبت العازر مصحوباً بالسيد اغابيوس رياشي
مطران بيروت وجمهور من الاكليروس وقبل دخوله اليها خرج سائر ابناء الطائفة
لاستقباله وكان موكباً حافلاً جمع من الزينة والبهجة ما لا يحيط بوصفه قلم وصف
وفي الجملة فقد كانت لوائح المسرة والبشر تتلألأ على وجوههم لمرآهم بطريركهم . وخصوصاً
اذ كانوا منذ مئة وعشر سنين لم يروا قبله بطريركاً عندهم (ذلك منذ بارحها
سنة ١٧٢٤ المطوب الذكر البطريرك كيرلس طاناس) وهنّأوا انفسهم بهذا
السيد الجليل الذي جمع الله في شخصه الموقر من العلم والفضيلة والاقدام والحزم في الامور والغيرة

وصفاء المسرة ما يذكر فيشكر ويسرد فيحمد . فدخل الكنيسة الجديدة التي كان قد تم بناؤها له
يتقدمه مصاف المرتلين وجمهور من الشعب لا يحصى عدده حتى غصت الكنيسة بالجمع حينئذٍ
ترنم المرتلون النشيد الكنائسي الواجب انشاده . وبعد ذلك قام غبطته خطيباً في الجمع والقى خطبة بليغة
دلت على علو طبقته وسمو معارفه وكثرة اطلاعه وطول باعه في الخطابة وطلاقة لسانه .
استشهد فيها بقول الكتاب (اذكر يا اسرائيل اليوم الذي خرجت فيه من العبودية) يعني فيها
شرف الديانة الكاثوليكية التي من علاها ترك اجدادهم اوطانهم وطلبوا الموت الذي تحملوه لاجلها
ومهنئاً الاحياء بحصولهم على حرية ديانتهم ومحرضاً الجميع على تقديم الشكر لله . وفي اليوم
التالي من دخوله دمشق وهو احد الشعانين كرّس الكنيسة الجديدة واقام قداساً حبرياً
ابهج قلوب الرعية وزادها عزاءً وخصوصاً بعمل رياضة في اسبوع الآلام وكان
يعظ مساء كل ليلة ويبادر لسماع وعظه جميع ابناء رعيته والطوائف الكاثوليكية [illegible]
الاكليروس وكثيرون من غير طوائف الكاثوليك الذين اثّر فيهم كلامه واستفادوا منه فوائد جمة .

Copyright © King Saud University